الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ ألي العمين علي بن مختار أل علي الرملي الأردني

تفسير سورة آل عمران الآية 154

تفسير سورة آل عمران الآية 154

إَثْمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَ الْجَاهِلِيَّة يَقُولُونَ هَلَّ لَنَا مِنَ اَلْلَّمْرِ مِنْ شَيْءَ قُلْ إِنَّ الْلَّمْرَ كُلَّهُ لِلَهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَلا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَّ الْلاَّمْرِ شَيْءً مَا قُتِلْنًا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الّذينَ كُتبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ اللهُ مَا فِي صَدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ إِنَا اللهُ عَلِيمٌ وَلَيْمَحِصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ (154) {

{ثُمَّ أُنْزَلَ عَلَيْكُمْ} يا معشر المسلمين {مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ [الذي أصابكم }أَمَنَةً} يعني: أمناً، والأمن والأمنة بمعنى واحد، وقيلُ في الفرق بينهما: الأمن يكون مع زوال سِبب الخوف، والأمنة مع بقاء سبب الخوف، وكان سبب الخوف هنا قائماً {نُعَاسًا} أي الأمنة هي نعاس، قال بعض أهل العلم: النعاس في الجهاد أمنة، وفي الصلاة من الشيطان، وقالوا: هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس (يَغْشَى (أي النعاس، ومن قرأ: تغشى، بالتاء، فعلى معنى الأمنة، أي الأمنة تغشى، والمعنى واحد }طَائفَةً منْكُمْ} أي جماعة منكم، وهم المؤمنون، قال قتادة: »وذاكم يوم أحد، كانوا يومئذ فريقين؛ فأما المؤمنون فغشاهم الله النعاس أمنة منه ورحمة. « انتهى {وَطَائِفَةٌ {وجماعة آخرون، وهم المنافقون }قَدْ أُهُمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} فليس لهم هم غير أنفسهم، قيل: أراد تمييز المنافقين من المؤمنين، فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا، ولم يوقع على المنافقين، فبقوا في الخوف قد أهمتهم أنفسهم، يخافون على أنفسهم القتل {يَظُنُونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ } أي: يظنون بالله الظنون الكاذبة، يظنون أن الله لا ينصر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم {ظُنَّ الْجَاهليّة} أي: كظن أهل الجاهلية والشرك {يَقُولُونَ هَلْ لَنَا} أي ما لنا {منَ الْلأَمْرَ منْ شَيْء} يعني: النصر، هذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر -أي: النصر وألظهور- شيء، فأساءوا الظن بربهم وبدينه ونبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي القاضية على دين الله، قال الله في جوابهم ﴿قُلْ إِنَّ الْلَّمْرَ كُلُّهُ لِلهِ ﴾ فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى {يُخْفُونَ {أَيَ المنافقون } فِي انْفُسهمْ مَا لَلا يُبدُونَ {أَي المنافقون } في انْفُسهمْ مَا لَلا يُبدُونَ {أَي ما لا يظهرون } لَكَ إثم بين الذي يخفونه فقال: {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْلاَّمْ فَي يُبُوتَكُمُ { أَي: لو كان لنا اختيار لما خرجنا، ولكننا أخرجنا مكرهين، ولو لم نخرج } ما قتلنا ها قتل من قتل منا هنا {قُلْ لَوْ كُنتُمْ في بيُوتكُمُ { ولم تخرجوا للقتال } لَبَرزَ إلخرج وظهر } النين كُتب كقضي {عليهم القتل فيها، فالأسباب وإن مضاجعهم } مصارعهم، المواضع التي كتب عليهم القتل فيها، فالأسباب وإن عظمت وإنما تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا، بل لا بد أن يُمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة وليمان وضعف إيمان وضعف إيمان وضعف عليم بنات الصدور ويظهر إما في قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور } بما في القلوب من خير وشر.

أخرج الترمذي في جامعه عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته -أي تحرك ومال من جانب إلى جانب- من النعاس فذلك قول الله تعالى: {ثُمَّ أُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمَّ أُمْنَةً نُعَاسًا}.

وأصله عن البخاري بلفظ: أنّ أبا طَلْحَة، قَالَ: "غَشينَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ". انتهى

وعن الزبير قال: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه في صدره فوالله إني لأسمع كالحلم قول مُعتب بن قشير {لَوْ كَانَ لَنَا منَ الْلأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتلْنَا هَاهُنَا} فحفظتها فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مَنْ بَعْدِ الْغُمِّ أُمَنَةً نُعَاسًا} - إلى قوله - {مَا قُتلْنَا هَاهُنَا} - لقول معتب بن قشير. قال {لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ} حتى بلغ {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ}.

أخرجه الترمذي، ولم يَسُق لفظه، ساقه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية.